

كيف عملت بريطانيا على تحقير الثقافات المحلية ولغاتها

توماس بابنجتون ماكولي (Thomas Babington Macaulay, Baron Macaulay of Rothley)‏ المعروف بـ اللورد ماكولي ولد في عام 1800م وتوفي في عام م 1859م وهو سياسي كان عضواً في البرلمان البريطاني ومؤرخ وشاعر.

عمل ماكولاي كسكرتير للحرب بين عامي 1839 و1841، وكمدير عام للمصروفات بين عامي 1846 و1848. ولعب دورًا رئيسيًا في إدخال المفاهيم الإنكليزية والغربية للتعليم في الهند، ونشر حجته حول هذا الموضوع في "**دقيقة ماكولاي"** عام 1835، وكانت جميع الحجج قائمة على فوقية اللغة الإنكليزية، وعدم جدوى دفع الأموال لتعليم اللغتين السنسكريتية والعربية حتى لو كانت الأهداف دراسة العقائد والشرائع المحلية، لاعتبار أن الحكومة البريطانية في الهند يجب أن تكون محايدة في جميع المسائل الدينية **"المثمرة للخرافات الوحشية، والتاريخ الكاذب، وعلم الفلك الكاذب، والطب الكاذب"،** ويضيف: **"لأننا وجدناهم متكيفون مع دين باطل.. ولغة قاحلة من المعرفة المفيدة"،** معتبرًا أن دعم هذا التعليم يضيع شبابهم **"في تعليم كيفية تطهير أنفسهم بعد لمس الحمار أو ما هي نصوص الفيدا التي يكررونها للتكفير عن جريمة قتل عنزة".**

يحاول ماكولاي في هذا الخطاب أن يقنع مجلس العموم بإلغاء البند الأول من ميثاق 1813، الذي بادر إلى تخصيص مبلغ **"لإحياء الأدب وتعزيزه"،** حسب ما ورد حرفيًا في البند، "**وتشجيع السكان الأصليين المتعلمين في الهند، ولتقديم المعرفة والترويج لها بين السكان البريطانيين على المُلكيات البريطانية".** (مع التنويه على أن المصطلح الدقيق هو المستعمرات البريطانية وليس المُلكيات).

يحاول ماكولاي في البداية أن يفسّر الكلمات لتطويعها فيما يخطط له، واتخذ عبارة **"لتقديم المعرفة بالعلوم والترويج لها بين سكان الملكيات البريطانية"** منطلقًا لتسفيه المعرفة التي تقدمها الآداب السنسكريتية والعربية التي ينفق عليها "النظام الشرقي للتعليم" الكثير من الأموال، وجعل اللغة الإنكليزية أم العلوم واللغات.

كان ثمة أصوات تدافع عن "النظام الشرقي للتعليم" الذي يدعم اللغات المحلية باعتباره خطوة للحفاظ على استقرار النظام، وأن أي تحول عن دعم التعليم بهذه الطريقة هو بمثابة "تدمير صريح". يحاول ماكولاي تسخيف هذا الاستنتاج، فهو إن كان ذا فائدة للسكان الأصليين فهو **"لا يستجيب لتوقعاتنا"،** لاعتبارها لغات **"عديمة الفائدة".** ومن ثم يدعو ماكولاي للتفكير بالطريقة الأكثر فائدة لاستخدام المبلغ المخصص.

ثم ينتقل ماكولاي للحديث بأنفة لتأكيد أن ليس لديه أي معرفة باللغة السنسكريتية أو العربية. لكنه يقول، **"فعلت ما بوسعي لتشكيل تقدير صحيح لقيمتها. لقد قرأت ترجمات لأشهر الأعمال العربية والسنسكريتية. لقد تحدثت، هنا في بريطانيا، مع رجال يتميزون بإتقانهم للألسنة الشرقية. أنا مستعد تمامًا لأخذ التعلم الشرقي على أساس تثمين المستشرقين أنفسهم. لم أجد مطلقًا من بينهم من ينكر أن رفًا واحدًا من مكتبة أوروبية جيدة كان يستحق كل الأدب الأصلي للهند والجزيرة العربية. إن التفوق الجوهري للأدب الغربي مقبول بالفعل من قبل أعضاء اللجنة الذين يدعمون خطة التعليم الشرقية".** ثم يمضي بسرد تاريخي لاثبات عظمة اللغة الإنكليزية.

وعن استجابة السكان الأصليين يقول ماكولاي: **" ثبت بالأدلة التي لا يمكن الإجابة عليها، أننا لا نضمن في الوقت الحاضر تعاون السكان الأصليين. سيكون سيئًا بما يكفي لاستشارة ذوقهم الفكري على حساب صحتهم الفكرية. لكننا لا نتشاور مع أي منهما. إننا نمنع عنهم التعلم الذي يستسيغونه. نحن نفرض عليهم التعلم الوهمي الذي يشعرهم بالغثيان"**. ثم في مقطع متقدم، يتحدث عن تقديم التماس إلى اللجنة من قبل العديد من الطلاب السابقين في كلية السنسكريتية، حيث يدعي ماكولاي أن بعضهم ممن درسوا في الكلية لمدة عشر أو اثني عشر عامًا، **"قد تعرفوا على الأدب والعلوم الهندوسية، وأنهم حصلوا على شهادات الكفاءة. وما هي ثمر كل هذا؟ يقولون "على الرغم من هذه الشهادات، ليس لدينا سوى أمل ضئيل لتحسين حالتنا دون المساعدة الكريمة من لجنتكم الموقرة"،** ويعلق ماكولاي على هذه القضية فيقول: **"إنهم يمثلون تعليمهم كضرر يدفعهم إلى مطالبة الحكومة بالتعويض، كضرر كانت الرواتب التي دفعت لهم أثناء وقوع الضرر تعويضًا غير كافٍ للغاية. ولا أشك في أنهم على حق. لقد أضاعوا أفضل سنوات الحياة في تعلم ما لا يشترى لهم الخبز ولا الاحترام".**

ثم يصبح ماكولاي -كلما تقدم في خطابه – أكثر وضوحًا عن أهدافه بتهميش اللغات الأصلية واستبدالها بالإنكليزية فيقول**: "سيكون من العبث تثقيف الجيل الصاعد بهدف تثبيت الأشياء التي نعني تغييرها قبل أن يصلوا إلى الرجولة".** ويمعن في الإساءة والإهانة بشكل وقح جدًا، وفوقي حتمًا، لكل ما تحمله هذه اللغات من معرفة وتراث.

وفي منطق مفاجئ ومختلف عن النمط الذي ساد منذ بداية الخطاب، يتحدث ماكولاي عن أن ثمة محليين **"يتمتعون بالسخاء والذكاء الذي من شأنه أن يجعلهم مؤهلين لكي يصبحوا أعضاء في لجنة التعليم العام"،** وخاصة أنهم بحسب تجربتهم الاستعمارية، يعبّر ماكولاي**، "من غير المعتاد أن تجد، حتى في الأوساط الأدبية في القارة، أي أجنبي يمكنه التعبير عن نفسه باللغة الإنكليزية بقدر كبير من التسهيلات والصحة كما نجد في العديد من الهندوس، أفترض أن لا أحد سوف يجادل في أن اللغة الإنجليزية صعبة للغاية بالنسبة للهندو مثل اليونانية بالنسبة للإنجليز. ومع ذلك، فإن شابًا إنجليزيًا ذكيًا، في عدد سنوات أقل بكثير مما يمر به تلاميذنا المأسوف عليهم في الكلية السنسكريتية، يصبح قادرًا على القراءة والاستمتاع وحتى تقليد مؤلفات أفضل المؤلفين اليونانيين. أقل من نصف الوقت الذي يُمكِّن فيه الشاب الإنجليزي من قراءة هيرودوت وسوفوكليس يجب أن يُمكِّن هندوًا من قراءة هيوم وميلتون"**. قبل أن يعود لإهانة الرجل الهندي مباشرة معتبرًا أنه **"من المستحيل أن نحاول تثقيف جسد الناس"،** وهي عبارة مجازية ليعبّر عن قصور بيولوجي للهنود في استيعاب اللغة الإنكليزية التي تحمل **"الأذواق والآراء والأخلاق والعقل"،** داعيًا إلى بذل قصارى الجهد لتشكيل فئة من المترجمين الفوريين.

وفي نهاية خطابه، دعا ماكولاي للتوقف عن طباعة الكتب العربية والسنسكريتية التي **"لا تساوي الورق الذي طبع عليها"،** والتوقف عن الدفع للطلاب الذين يتعلمون، وإذا لم يتم تحقيق كل ما مطالبه، فإنه سيتقاعد من رئاسة اللجنة، لأنه غير مقتنع بـ **"تشجيع التاريخ العبثي، والميتافيزيقا العبثية، والفيزياء السخيفة، واللاهوت العبثي- - لتنشئة سلالة من العلماء الذين يجدون منحهم الدراسية عبئًا وشينًا".**

منذ ذلك اليوم، أسس ماكولاي للتدخل البريطاني في المناهج التعليمية في الدول للسيطرة عليها، وهو ما تستمرّ بريطانيا بفعله طوال 200 سنة، وحتى اليوم، تحت عناوين مختلفة، مثل "مجلس الثقافي البريطاني"، لإدخال مواد تعليمية تتناسب مع أجندات الهيمنة والسيطرة الثقافية وغيرها. وقد عمد ماكولاي من خلال تلك السردية، إلى تأسيس الشعوب على احتقار لغتهم وتراثهم وتاريخهم، لأنها لا تنتج شيئًا ذا قيمة، بل ذهب أبعد من ذلك، ليصفها بالمعارف "العبثية" وتؤدي إلى التطرف في الجهل والخرافات، و"تعيق تقدم العلم السليم" في الشرق، كما شكك بما وصل من تراث، باعتباره "نصوص زائفة"، وشكك بالفلسفة المحلية، باعتبارها "فلسفة زائفة". ولما كان المغلوب يتشبه بالغالب، لأنه مبهور بقوته، فإن شرائح واسعة من الناس ستؤمن بهذه الدونية، وستسعى إلى تقدم فطري ولكن من خلال ما سيقدمه لهم الاستعمار من تغذية في هذا المجال، لينتقل من مرحلة استعمار الأرض إلى مرحلة استعمار النفوس، وهو ما لم تتخلص منه الشعوب حتى اليوم. بالنظر إلى أن اللغات الأجنبية في كافة المجتمعات هي فعلًا تعبر عن طبقة أرستقراطية، أو قل، طبقة تحاول تمييز نفسها ووضعها في خانة التقدم والتحضر، فيلجؤون إلى تربية أولادهم باللغة الأجنبية، كدليل على التفوق والرقي، وليس من خلفية تربوية وتنموية حيث معرفة اللغات تؤدي إلى اكتساب المعارف الإضافية. وهذه الظاهرة أو النمطية، موجودة حتى في أكثر المجتمعات انغلاقًا وقومية.

**وفيما يلي ترجمة النص الكامل:**

دقيقة بقلم المحترم تي بي ماكولاي، بتاريخ ٢ فبراير ١٨٣٥

كما يبدو فإنّ رأي بعض السادة الذين شكلوا لجنة التعليمات العامة، هو أن المسار الذي اتبعوه حتى الآن، كان محددًا بدقة من قبل البرلمان البريطاني في عام 1813. وإذا كان هذا الرأي صحيحًا، فإن القانون التشريعي سيكون ضروريًا لضمان التغيير. لقد اعتقدت أنه من الصواب الامتناع عن أي دور في إعداد التصريحات المناوئة التي تعترضنا الآن، والاحتفاظ بما يجب أن أقوله حول هذا الموضوع إلى أن يعرض أمامي بصفتي عضوًا في مجلس الهند.

[2] لا يبدو لي أن قانون البرلمان، وبأي فنّ من فنون الانكماش، يمكنه أن يحمل المعنى الذي تم تعيينه له. فهو لا يحتوي على أي شيء عن اللغات أو العلوم المخصصة التي سيتم دراستها. تم تخصيص مبلغ "لإحياء الأدب وتعزيزه، وتشجيع السكان الأصليين المتعلمين في الهند، ولتقديم المعرفة والترويج لها بين السكان البريطانيين على المُلكيات البريطانية". يُقال، أو بالأحرى ما هو مسلّمٌ به، أن ما يقصده البرلمان بـ "الأدب"، يمكن أن يعني الأدب العربي والسنسكريتي فقط. أنهم لم يعطوا أبدًا لقب الشرف "المواطن الأصلي المتعلم" للمواطن الذي كان على دراية بشعر ميلتون، وميتافيزيقيا لوك، وفيزياء نيوتن؛ لكنهم قصدوا أن يسموا بهذا الاسم فقط الأشخاص الذين ربما درسوا في الكتب المقدسة للهندوس، وجميع استخدامات الأعشاب، وجميع أسرار الذوبان في الإله. لا يبدو أن هذا تفسير مرضٍ للغاية. لنأخذ حالة موازية: لنفترض أن الباشا في مصر، البلد الذي كان متفوقًا في المعرفة على أمم أوروبا، ولكنه الآن أقل من ذلك بكثير، كان يخصص مبلغًا لغرض "إحياء الأدب وتعزيزه، وتشجيع سكان مصر الأصليين على تعلمه"، "هل يمكن لأي شخص أن يستنتج أنه قصد شباب الباشاليك (منصب عثماني) لإمهالهم سنوات لدراسة الهيروغليفية، والبحث في جميع المذاهب المقنعة تحت حكاية أوزوريس، والتأكد بكل دقة ممكنة من الطقوس الخاصة بعبادة القطط والبصل؟ هل سيُتهم بحق بعدم الاتساق إذا كان، بدلاً من توظيف رعاياه الصغار في فك رموز المسلات، كان عليه أن يأمر بتعليمهم باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وفي جميع العلوم التي تعتبر تلك اللغات مفاتيح رئيسية لها؟

[3] الكلمات التي يعتمد عليها مؤيدو النظام القديم لا تثقل كاهلهم، وتتبعها كلمات أخرى تبدو حاسمة تمامًا على الجانب الآخر هذه الرزمة من الروبيي (العملة الهندية) ليس فقط من أجل "إحياء الأدب في الهند"، وهي العبارة التي تأسس عليها تبريراتهم بالكامل، ولكن أيضًا "لتقديم المعرفة بالعلوم والترويج لها بين سكان الملكيات البريطانية" -هذه هي الكلمات المناسبة التي تكفي لتشريع التغييرات التي أتعهد بها.

[4] إذا وافق المجلس على طرحي، فلن يكون هناك ضرورة لاتخاذ أي إجراء تشريعي. أما إذا اختلفوا معي، سأقترح إجراءً قصيرًا بإلغاء ذلك البند الأول من ميثاق 1813 الذي تنشأ عنه الصعوبة.

[5] الحجة التي كنت أفكر فيها لا تؤثر إلا على شكل الإجراء. لكن المعجبين بـ "النظام الشرقي للتعليم" استخدموا حجة أخرى، والتي إذا اعترفنا بصحتها، فهي حاسمة ضد كل تغيير. إنهم يتصورون أن العقيدة العامة مرهونة بالنظام الحالي، وأن تغيير تخصيص أي من الأموال التي تم إنفاقها حتى الآن في تشجيع دراسة اللغتين العربية والسنسكريتية سيكون بمثابة تدمير صريح. ليس من السهل أن نفهم من خلال أي عملية تفكير يمكن أن يكونوا قد توصلوا إلى هذا الاستنتاج. المنح التي يتم تقديمها من الخزانة العامة لتشجيع الأدب، لا تختلف بأي شكل من الأشكال عن المنح المقدمة من نفس المحفظة لأشياء أخرى ذات فائدة حقيقية أو مفترضة. وجدنا مصحة في مكان نفترض أنه يتمتع بصحة جيدة. فهل يعني ذلك أن نتعهد على أنفسنا بالحفاظ على مصحة هناك إذا كانت النتيجة لا تستجيب لتوقعاتنا؟ نبدأ في تشييد الدعامة. هل يعد وقف الأعمال انتهاكًا للعقيدة العامة، إذا رأينا بعد ذلك سببًا للاعتقاد بأن المبنى سيكون عديم الفائدة؟ حقوق الملكية مقدسة بلا شك. لكن لا شيء يهدد تلك الحقوق بقدر ما هو تتهدد الآن للأسف، وهو نسبها إلى أشياء لا تنتمي إليها. أولئك الذين ينقلون قدسية الملكية إلى الانتهاكات هم في الحقيقة ينقلون إلى مسألة الملكية عدم الشعبية وهشاشة الانتهاكات. إذا أعطت الحكومة لأي شخص تأكيدًا رسميًا - كلا، إذا كانت الحكومة قد أثارت في ذهن أي شخص توقعًا معقولًا - بأنه سيحصل على دخل معين كمدرس أو متعلم للغة السنسكريتية أو العربية، فأنا أحترم فوائد هذا الشخص المالية. أفضل أن أخطئ في جانب التحرر تجاه الأفراد على أن أعاني من التشكيك في العقيدة العامة. لكن الحديث عن حكومة تتعهد بتدريس لغات معينة وعلوم معينة، على الرغم من أن هذه اللغات قد تصبح عديمة الفائدة، على الرغم من أن هذه العلوم قد تنفجر، يبدو لي غير ذي مغزى. لا توجد كلمة واحدة في أي صك عام يمكن الاستدلال منه على أن الحكومة الهندية كانت تنوي على الإطلاق تقديم أي تعهد بشأن هذا الموضوع، أو اعتبرت أن وجهة هذه الأموال ثابتة بشكل دائم. ولكن، لو كان الأمر بخلاف ذلك، كان عليّ أن أنكر اختصاص أسلافنا في إلزامنا بأي تعهد بشأن مثل هذا الموضوع. لنفترض أن حكومة ما في القرن الماضي قد سنت بأقصى قدر من الجدية أنه ينبغي، حتى نهاية الوقت، تلقيح جميع رعاياها ضد الجدري، فهل ستلتزم تلك الحكومة بالاستمرار في هذه الممارسة بعد اكتشاف جينر (اكتشاف لقاح الجدري)؟ هذه الوعود التي لا يطالب أحد بإيفائها، والتي لا يمكن لأحد أن يمنحها إخلاء طرف، هذه الحقوق المكتسبة التي لا تمنح لأحد، هذه الملكية بدون مالكين، هذا السرقة التي لا تجعل أحدًا أفقر، يمكن أن يفهمها أشخاص يتمتعون بقدرات عقلية أعلى من ملكاتي. إنني أعتبر هذا الالتماس مجرد شكل من أشكال الكلمات، يتم استخدامه بانتظام في كل من إنجلترا والهند، للدفاع عن كل إساءة لا يمكن التذرع بها.

[6] أعتبر أن مبلغ الروبية هذا تحت تصرف الحاكم العام في مجلسه بغرض تعزيز التعلم في الهند بأي طريقة قد يُعتقد أنها أكثر استحسانًا. أنا أعتبر سيادته حرًا تمامًا في التوجيه بأنه لن يتم توظيفه بعد الآن في تشجيع اللغة العربية والسنسكريتية، لأنه يوجه بأن المكافأة على قتل النمور في "ميسور" ستنخفض، وإلا لن يتم إنفاق المزيد من المال العام على المطاردة في الكاتدرائية.

[7] نصل الآن إلى جوهر الأمر. لدينا صندوق يتم توظيفه حيث يجب أن توجه الحكومة من أجل التحسين الفكري لشعب هذا البلد. السؤال البسيط هو، ما هي الطريقة الأكثر فائدة لاستخدامه؟

[8] يبدو أن جميع الأطراف متفقون على نقطة واحدة، وهي أن اللهجات التي يتحدثها السكان الأصليون في هذا الجزء من الهند لا تحتوي على معلومات أدبية ولا علمية، وهي علاوة على ذلك فقيرة ووقحة للغاية حتى يتم إثرائها من جهة أخرى، فلن يكون من السهل ترجمة أي عمل ذي قيمة لها. يبدو أنه من المسلم به من جميع الجوانب، أن التحسن الفكري لتلك الفئات من الأشخاص الذين لديهم وسائل لمتابعة الدراسات العليا لا يمكن أن يتأثر في الوقت الحاضر إلا من خلال لغة ليست العامية بينهم.

[9] فماذا تكون هذه اللغة؟ نصف أعضاء اللجنة يؤكدون أنه ينبغي أن تكون اللغة الإنجليزية. النصف الآخر يوصي بشدة باللغتين العربية والسنسكريتية. يبدو لي أن السؤال برمته هو - ما هي اللغة الأفضل التي تستحق المعرفة؟

**[10****] ليس لدي أي معرفة باللغة السنسكريتية أو العربية. لكنني فعلت ما بوسعي لتشكيل تقدير صحيح لقيمتها. لقد قرأت ترجمات لأشهر الأعمال العربية والسنسكريتية. لقد تحدثت، هنا في بريطانيا، مع رجال يتميزون بإتقانهم للألسنة الشرقية. أنا مستعد تمامًا لأخذ التعلم الشرقي على أساس تثمين المستشرقين أنفسهم. لم أجد مطلقًا من بينهم من ينكر أن رفًا واحدًا من مكتبة أوروبية جيدة كان يستحق كل الأدب الأصلي للهند والجزيرة العربية. إن التفوق الجوهري للأدب الغربي مقبول بالفعل من قبل أعضاء اللجنة الذين يدعمون خطة التعليم الشرقية.**

[11] لن يكون هناك خلاف، على ما أعتقد، أن قسم الأدب الذي يحتل فيه الكتاب الشرقيون مرتبة عالية هو الشعر. وبالتأكيد لم ألتق مطلقًا بأي مستشرق غامر بالقول إن الشعر العربي والسنسكريتي يمكن مقارنته بشعر الدول الأوروبية العظيمة. ولكن عندما ننتقل من أعمال التخيل إلى الأعمال التي يتم فيها تسجيل الحقائق والتحقيق في المبادئ العامة، يصبح تفوق الأوروبيين لا يقاس تمامًا. أعتقد أنه ليس من قبيل المبالغة القول إن جميع المعلومات التاريخية التي تم جمعها من جميع الكتب المكتوبة باللغة السنسكريتية أقل قيمة مما يمكن العثور عليه في أكثر الاختصارات التافهة المستخدمة في المدارس الإعدادية في إنجلترا. في كل فرع من فروع الفلسفة المادية أو الأخلاقية، يكون الوضع النسبي للشعبين هو نفسه تقريبًا.

[12] فكيف إذن تقف القضية؟ علينا أن نثقف الناس الذين لا يستطيعون في الوقت الحاضر أن يتعلموا بلغتهم الأم. يجب أن نعلمهم بعض اللغات الأجنبية. إنّ ادعاءات لغتنا بالكاد ضرورية للتلخيص. إنه يحتل مكانة بارزة حتى بين لغات الغرب. إنه مليء بأعمال التخيل التي لا تقل شأناً عن أنبل ما أورثتنا إياه اليونان، بنماذج من كل أنواع البلاغة، ذات التكوين التاريخي، الذي يُنظر إليه على أنه مجرد سرد، ونادرًا ما يتم تجاوزه، والذي، كأدوات للتعليم الأخلاقي والسياسي، لم يحدث أنه تساوى - مع تمثيلات عادلة وحيوية للحياة البشرية والطبيعة البشرية - مع التكهنات الأكثر عمقًا حول الميتافيزيقيا والأخلاق والحكومة والفقه والتجارة - بمعلومات كاملة وصحيحة تحترم كل علم تجريبي يميل إلى الحفاظ على الصحة، لزيادة الراحة، أو لتوسيع عقل الإنسان. من يعرف تلك اللغة لديه حق الوصول إلى كل الثروة الفكرية الهائلة التي أنشأتها جميع أمم الأرض وخزنتها على مدى تسعين جيلا. يمكن القول بثقة إن الأدب الموجود الآن بهذه اللغة له قيمة أكبر من جميع الأدبيات التي كانت موجودة قبل ثلاثمائة عام في جميع لغات العالم معًا. وهذا ليس كلّ شيء. في الهند، اللغة الإنجليزية هي اللغة التي تتحدثها الطبقة الحاكمة. يتحدث بها الطبقة العليا من السكان الأصليين في مقاعد الحكومة. من المحتمل أن تصبح لغة التجارة عبر بحار الشرق. إنها لغة مجتمعين أوروبيين عظيمين آخذين في الارتفاع، أحدهما في جنوب إفريقيا والآخر في أستراليا - المجتمعات التي تزداد أهمية كل عام وأكثر ارتباطًا بإمبراطوريتنا الهندية. سواء نظرنا إلى القيمة الجوهرية لأدبنا، أو إلى الوضع الخاص لهذا البلد، سنرى أقوى سبب للاعتقاد بأن اللغة الإنجليزية، من بين جميع اللغات الأجنبية، هي اللغة الأكثر فائدة لموضوعاتنا الأم.

[13] السؤال المطروح أمامنا الآن هو ببساطة ما إذا كنا سنعلم اللغات التي يعترف الجميع أنه لا توجد كتب حول أي موضوع تستحق مقارنتها بها. عندما يكون في مقدورنا تعليم هذه اللغة في تدريس العلوم الأوروبية، والأنظمة التي بالاعتراف العالمي حين تختلف عن تلك الموجودة في أوروبا تختلف إلى الأسوأ ، وما إذا كنا، عندما نتمكن من رعاية الفلسفة السليمة والتاريخ الحقيقي، فإن علينا أن نؤيد النفقات العامة، والعقائد الطبية التي من شأنها أن تلحق العار بالطب البيطري الانكليزي ، وعلم الفلك الذي من شأنه أن يحرك الضحك لدى الفتيات في مدرسة داخلية إنجليزية، والتاريخ الحافل بالملوك بطول ثلاثين قدمًا، ويسود ثلاثين ألف سنة، والجغرافيا مصنوعة من بحار من العسل الأسود وبحار من الزبدة .

[14] لسنا بدون خبرة لإرشادنا. يقدم التاريخ العديد من الحالات المماثلة، وجميعهم يعلّمون نفس الدرس. هناك، في الأزمنة الحديثة، حتى لا نذهب بعيدًا، حالتان لا يمكن نسيانهما من الدافع العظيم المعطى الذي أعطي لعقل مجتمع بأكمله، من العصبيات التي أطيح بها، والمعرفة المنتشرة، والذوق المنقى، والفنون والعلوم التي زرعت في البلدان في الآونة الأخيرة، كانوا جاهلين وبربريين.

[15] المثال الأول الذي أشير إليه هو الإحياء الكبير للحروف بين الدول الغربية في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر. في ذلك الوقت، كان كل شيء تقريبًا يستحق القراءة واردًا في كتابات الإغريق والرومان القدماء. لو كان أسلافنا قد تصرفوا على النحو الذي أشارت إليه لجنة التعليم العام حتى الآن، هل أهملوا لغة ثوسيديدس وأفلاطون ولغة شيشرون وتاسيتوس، لو حصروا انتباههم على اللهجات القديمة لجزيرتنا، لو لم يطبعوا شيئًا ولم يدرسوا شيئًا في الجامعات سوى السجلات التاريخية باللغة الأنجلوساكسونية والرومانسية بالفرنسية النورماندية، - هل كانت إنجلترا على ما هي عليه الآن؟ ما كانت اليونانية واللاتينية بالنسبة لمعاصري مور وأشام، لساننا لشعب الهند. أصبح الأدب الإنجليزي الآن أكثر قيمة من أدب العصور الكلاسيكية القديمة. أشك فيما إذا كان الأدب السنسكريتي ذا قيمة كتلك الخاصة بأسلافنا الساكسونيين والنورمانديين. في بعض الأقسام - في التاريخ على سبيل المثال - أنا متأكد من أن الأمر أقل من ذلك بكثير.

[16] يمكن القول إن هناك حالة أخرى ما زالت أمام أعيننا. خلال المائة وعشرين سنة الماضية، خرجت أمة كانت في السابق في حالة همجية مثل تلك التي كان فيها أجدادنا قبل الحروب الصليبية من الجهل الذي غرقت فيه، وأخذت مكانها بين المجتمعات المتحضرة. أنا أتحدث عن روسيا. توجد الآن في ذلك البلد طبقة كبيرة متعلمة تزخر بأشخاص مؤهلين لخدمة الدولة في أعلى الوظائف، وفي الوقت الحاضر أدنى من الرجال الأكثر إنجازًا الذين يزينون أفضل دوائر باريس ولندن. هناك سبب للأمل في أن هذه الإمبراطورية الشاسعة التي، في زمن أجدادنا، ربما كانت وراء البنجاب، ربما في زمن أحفادنا، تضغط بشدة على فرنسا وبريطانيا في مسيرة التحسين. وكيف تم هذا التغيير؟ ليس من خلال الإطراء على الأحكام المسبقة الوطنية؛ ليس من خلال تغذية عقل الشباب في موسكو بقصص النساء العجائز التي اعتقدها آباؤهم الوقحون؛ ليس بملء رؤوسهم بأساطير كاذبة عن القديس نيكولاس؛ ليس بتشجيعهم على دراسة السؤال الكبير، هل العالم قد خلق أم لا في الثالث عشر من سبتمبر. ليس من خلال وصفه بأنه "المواطن الأصلي المتعلم" بعد أن أتقن جميع نقاط المعرفة هذه؛ ولكن بتعليمه تلك اللغات الأجنبية التي وُضعت بها أكبر قدر من المعلومات، وبالتالي جعل كل تلك المعلومات في متناوله. لغات أوروبا الغربية المتحضرة في روسيا. لا أشك في أنهم سيفعلون للهندو ما فعلوه للتتار.

[17] وما هي الحجج ضد هذا المسار الذي يبدو أنه مشابه موصى به من قبل النظرية والتجربة؟ يقال إننا يجب أن نؤمن التعاون مع السكان الأصليين، ولا يمكننا القيام بذلك إلا من خلال تعليم اللغة السنسكريتية والعربية.

[18] لا أستطيع بأي حال من الأحوال أن أعترف أنه عندما تتعهد أمة ذات إنجازات فكرية عالية بالإشراف على تعليم أمة جاهلة نسبيًا، يجب على المتعلمين تحديد الدورة التي يجب أن يأخذها المعلمون. ومع ذلك، ليس من الضروري قول أي شيء حول هذا الموضوع. لأنه ثبت بالأدلة التي لا يمكن الإجابة عليها، أننا لا نضمن في الوقت الحاضر تعاون السكان الأصليين. سيكون سيئًا بما يكفي لاستشارة ذوقهم الفكري على حساب صحتهم الفكرية. لكننا لا نتشاور مع أي منهما. إننا نمنع عنهم التعلم الذي يستسيغونه. نحن نفرض عليهم التعلم الوهمي الذي يشعرهم بالغثيان.

[19] ثبت ذلك من خلال حقيقة أننا مجبرون على دفع أجور طلابنا من اللغتين العربية والسنسكريتية في حين أن أولئك الذين يتعلمون اللغة الإنجليزية مستعدون للدفع لنا. كل التصريحات في العالم حول حب السكان الأصليين وتبجيلهم للهجاتهم المقدسة لن تفوق أبدًا حقيقة أنه لا يمكننا أن نجد في كل إمبراطوريتنا الشاسعة طالبًا واحدًا سيسمح لنا بذلك علمه تلك اللهجات، إلا إذا دفعنا له.

[20] أمامي الآن حسابات المدرسة لشهر واحد، شهر ديسمبر 1833. يبدو أن عدد الطلاب العرب بلغ سبعة وسبعين. يحصل الجميع على رواتب من الجمهور. المبلغ الكامل المدفوع لهم يتجاوز 500 روبية في الشهر. على الجانب الآخر من الحساب يقف العنصر التالي:

المبلغ المقتطع المحقّق من طلاب اللغة الإنجليزية الخارجيين لشهور مايو ويونيو ويوليو الماضي - 103 روبية.

[21] لقد قيل لي إنه لمجرد نقص الخبرة المحلية أنني مندهش من هذه الظواهر، وأنه ليس من الموضة للطلاب في الهند أن يدرسوا على مسؤوليتهم الخاصة. هذا فقط يؤكد لي في آرائي. لا يوجد شيء مؤكد أكثر من أنه لا يمكن في أي جزء من العالم أن يكون ضروريًا لدفع المال للرجال مقابل القيام بما يعتقدون أنه ممتع أو مربح. الهند ليست استثناء من هذه القاعدة. لا يطلب شعب الهند دفع أجر مقابل أكل الأرز عندما يكونوا جائعين، أو لارتداء قماش صوفي في موسم البرد. للاقتراب من القضية المعروضة علينا: - الأطفال الذين يتعلمون حروفهم والقليل من الحساب الابتدائي من مدير مدرسة القرية هو لا يدفع لهم، بل يتقاضى أجرًا مقابل تعليمهم. لماذا إذن من الضروري دفع المال للناس لتعلم اللغة السنسكريتية والعربية؟ من الواضح لأنه يُعتقد عالميًا أن السنسكريتية والعربية لغات لا يعوض معرفتها عن عناء اكتسابها. في كل هذه الموضوعات، تكون حالة السوق هي الاختبار البوليسي.

[22] هناك أدلة أخرى غير مرغوب فيها، إذا كانت هناك حاجة إلى أدلة أخرى. تم تقديم التماس إلى اللجنة العام الماضي من قبل العديد من الطلاب السابقين في كلية السنسكريتية. وذكر الملتمسون أنهم قد درسوا في الكلية لمدة عشر أو اثني عشر عامًا، وأنهم قد تعرفوا على الأدب والعلوم الهندوسية، وأنهم حصلوا على شهادات الكفاءة. وما هي ثمر كل هذا؟ يقولون "على الرغم من هذه الشهادات، ليس لدينا سوى أمل ضئيل لتحسين حالتنا دون المساعدة الكريمة من لجنتكم الموقرة، واللامبالاة التي ينظر بها إلينا مواطنونا عمومًا دون ترك أي أمل في التشجيع والمساعدة منهم. " ولذلك، فإنهم يطلبون التوصية بهم للحاكم العام لشغل مناصب تابعة للحكومة - وليس أماكن ذات كرامة عالية أو مكافآت، ولكن مثل تلك التي قد تمكنهم من الوجود فقط. يقولون "نريد وسائل من أجل حياة كريمة ولتحسيننا التدريجي، وهو أمر لا يمكننا الحصول عليه بدون مساعدة الحكومة التي تعلمنا بواسطتها منذ الطفولة". واختتموا بالقول بشكل مثير للشفقة أنهم على يقين من أنه لم تكن نية الحكومة أبدًا، بعد أن تصرفت بتحرر معهم أثناء تعليمهم، أن تتركهم في حالة من العوز والإهمال.

[23] لقد اعتدت على رؤية الالتماسات المقدمة للحكومة للحصول على تعويض. كل تلك الالتماسات، حتى أكثرها غير منطقية، استمرت على افتراض أن بعض الخسائر قد تكبدتها، وأن بعض الأخطاء قد تم إلحاقها. هؤلاء هم بالتأكيد أول الملتمسين الذين طالبوا بالتعويض عن تعليمهم مجانًا، لدعمهم من قبل الجمهور خلال اثني عشر عامًا، ثم إرسالهم إلى العالم مؤثثًين جيدًا بالأدب والعلم. إنهم يمثلون تعليمهم كضرر يدفعهم إلى مطالبة الحكومة بالتعويض، كضرر كانت الرواتب التي دفعت لهم أثناء وقوع الضرر تعويضًا غير كافٍ للغاية. ولا أشك في أنهم على حق. لقد أضاعوا أفضل سنوات الحياة في تعلم ما لا يشترى لهم الخبز ولا الاحترام. بالتأكيد ربما وفرنا بالميزة تكلفة جعل هؤلاء الأشخاص عديمي الفائدة وبائسين. بالتأكيد، قد يُنشأ الرجال ليكونوا أعباءً على الجمهور وموضوعًا لازدراء جيرانهم بتكلفة أقل إلى حد ما للدولة. لكن هذه هي سياستنا. نحن لا نقف حياديين في الصراع بين الحق والباطل. نحن لا نكتفي بترك السكان الأصليين تحت تأثير تحيزاتهم الوراثية، إلى الصعوبات الطبيعية التي تعيق تقدم العلم السليم في الشرق، نضيف صعوبات كبيرة من صنعنا. الهبات والمكافآت، مثل التي لا يجب أن تُعطى حتى لنشر الحقيقة، نحن نسرف في النصوص الزائفة والفلسفة الزائفة.

[24] بالتصرف بهذه الطريقة نخلق الشر الذي نخافه. نحن نقوم بتلك المعارضة التي لا نجدها. إن ما ننفقه على كليات اللغة العربية والسنسكريتية ليس مجرد خسارة كبيرة لقضية الحقيقة. إنها مكافأة مالية تُدفع لتربية أبطال الخطأ. إنها تتجه لتشكيل عش ليس فقط من الباحثين عن أماكن عاجزة ولكن من المتعصبين الذين يدفعهم على حد سواء العاطفة والاهتمام لإثارة صرخة ضد كل مخطط مفيد للتعليم. إذا كان ينبغي أن يكون هناك أي معارضة بين السكان الأصليين للتغيير الذي أوصي به، فستكون تلك المعارضة من تأثير نظامنا. سيرأسه أشخاص مدعومين من رواتبنا ومدربين في كلياتنا. كلما طالت مدة ثباتنا في مسارنا الحالي، كلما كانت هذه المعارضة مرعبة. سيتم تعزيزها كل عام من قبل المجندين الذين ندفع لهم. من المجتمع الأصلي، إذا تُرك لنفسه، ليس لدينا أي صعوبة في الفهم. كل التذمر يأتي من تلك المصلحة الشرقية التي استدعيناها، بوسائل اصطناعية، إلى الوجود ورعيناها بقوة.

[25] هناك حقيقة أخرى تكفي وحدها لإثبات أن شعور الجمهور المحلي، عندما يُترك لذاته، لا يكون مثلما يمثله أنصار النظام القديم. لقد اعتقدت اللجنة أنه من المناسب وضع روبية فوق روبية لطباعة الكتب العربية والسنسكريتية. تلك الكتب لا تجد مشترين. نادرًا ما يتم التخلص من نسخة واحدة. تملأ ثلاثة وعشرون ألف مجلد، معظمها من الأوراق والربع، المكتبات أو بالأحرى غرف الخشب. تسعى اللجنة للتخلص من جزء من مخزونهم الهائل من الأدب الشرقي من خلال توزيع الكتب. لكنهم لا يستطيعون العطاء بالسرعة التي يطبعونها. يتم إنفاق حوالي عشرين ألف روبية سنويًا في إضافة كتل جديدة من نفايات الورق إلى كنز وافر بما فيه الكفاية. خلال السنوات الثلاث الماضية تم إنفاق حوالي ستين ألف روبية على هذا النحو. لم يدر بيع الكتب العربية والسنسكريتية خلال تلك السنوات أكثر من الثلاث ألاف روبية. في غضون ذلك، تبيع جمعية الكتاب المدرسي سبعة أو ثمانية آلاف مجلد باللغة الإنجليزية كل عام، ولا تدفع فقط نفقات الطباعة بل تحقق ربحًا بنسبة عشرين بالمائة. على نفقاتها.

[30] حقيقة أن القانون الهندوسي يجب تعلمه بشكل رئيسي من الكتب السنسكريتية، والقانون المحمدي من الكتب العربية، تم الإصرار عليه كثيرًا، ولكن يبدو أنه لا يؤثر على الإطلاق في السؤال. نحن مأمورون من قبل البرلمان للتأكد من قوانين الهند واستيعابها. وقد قدمت لنا لجنة القانون مساعدة لهذا الغرض. حالما يتم إصدار المدونة، ستصبح Shasters و Hedaya عديمة الفائدة لـ moosiff أو لـ Sudder Ameen. آمل وأثق أنه قبل أن يكمل الأولاد الذين يلتحقون الآن بالمدرسة والكلية السنسكريتية دراستهم، سيتم الانتهاء من هذا العمل الرائع. من الواضح أنه سيكون من العبث تثقيف الجيل الصاعد بهدف تثبيت الأشياء التي نعني تغييرها قبل أن يصلوا إلى الرجولة.

[31] ولكن هناك حجة أخرى تبدو أكثر صعوبة. يقال إن اللغة السنسكريتية والعربية هما اللغتان اللتان كُتبت بهما الكتب المقدسة لمئات الملايين من الناس، وهم على هذا الحساب يستحقون تشجيعًا خاصًا. من المؤكد أنه من واجب الحكومة البريطانية في الهند ألا تكون متسامحة فحسب، بل محايدة في جميع المسائل الدينية. لكن لتشجيع دراسة الأدب، المعترف به على أنه ذو قيمة جوهرية صغيرة، فقط لأن ذلك الأدب غرس أخطر الأخطاء في الموضوعات الأكثر أهمية، هو مسار يصعب التوفيق بينه وبين العقل والأخلاق أو حتى مع ذلك الحياد ذاته الذي يجب أن يتم الحفاظ عليها بشكل مقدس كما نتفق جميعًا. من المحظور أن هذه اللغة قاحلة من المعرفة المفيدة. هل علينا أن نعلمه لأنه مثمر للخرافات الوحشية. علينا أن نعلم التاريخ الكاذب، وعلم الفلك الكاذب، والطب الكاذب، لأننا وجدناهم متكيفون مع دين باطل. نحن نمتنع، وأثق أننا سنمتنع دائمًا، عن تقديم أي تشجيع عام لأولئك الذين يشاركون في عمل تحويل السكان الأصليين إلى المسيحية. وبينما نتصرف على هذا النحو، هل يمكننا رشوة الرجال بشكل معقول أو لائق، من عائدات الدولة، لإضاعة شبابهم في تعلم كيفية تطهير أنفسهم بعد لمس الحمار أو ما هي نصوص الفيدا التي يكررونها للتكفير عن جريمة قتل عنزة؟

[32] من المسلم به من قبل دعاة التعلم الشرقي أنه لا يمكن لأي مواطن في هذا البلد أن يحصل على أكثر من مجرد القليل من اللغة الإنجليزية. إنهم لا يحاولون إثبات ذلك. لكنهم يلمحون إليها بشكل دائم. إنهم يصفون التعليم الذي يوصي به خصومهم على أنه مجرد تعليم إملائي للكتاب. إنهم يفترضون أنه لا يمكن إنكار أن السؤال هو بين المعرفة العميقة بالأدب الهندوسي والعربي والعلم من جهة، والمعرفة السطحية بأساسيات اللغة الإنجليزية من جهة أخرى. هذا ليس مجرد افتراض، بل افتراض مخالف لكل العقل والخبرة. نحن نعلم أن الأجانب من جميع الدول يتعلمون لغتنا بشكل كافٍ للوصول إلى كل المعارف الأكثر غموضًا التي تحتوي عليها بشكل كافٍ للاستمتاع حتى بالنعم الأكثر حساسية لكتابنا الأكثر اصطلاحًا. يوجد في هذه المدينة بالذات سكان أصليون مؤهلون تمامًا لمناقشة الأسئلة السياسية أو العلمية بطلاقة ودقة في اللغة الإنجليزية. لقد سمعت عن السؤال ذاته الذي أكتب عنه الآن والذي تمت مناقشته من قبل السادة المحليين الذين يتمتعون بالسخاء والذكاء الذي من شأنه أن ينسب الفضل إلى أي عضو في لجنة التعليم العام. في الواقع، من غير المعتاد أن تجد، حتى في الأوساط الأدبية في القارة، أي أجنبي يمكنه التعبير عن نفسه باللغة الإنجليزية بقدر كبير من التسهيلات والصحة كما نجد في العديد من الهندوس. أفترض أن لا أحد سوف يجادل في أن اللغة الإنجليزية صعبة للغاية بالنسبة للهندو مثل اليونانية بالنسبة للإنجليز. ومع ذلك، فإن شابًا إنجليزيًا ذكيًا، في عدد سنوات أقل بكثير مما يمر به تلاميذنا المأسوف عليهم في الكلية السنسكريتية، يصبح قادرًا على القراءة والاستمتاع وحتى تقليد مؤلفات أفضل المؤلفين اليونانيين. أقل من نصف الوقت الذي يُمكِّن فيه الشاب الإنجليزي من قراءة هيرودوت وسوفوكليس يجب أن يُمكِّن هندوًا من قراءة هيوم وميلتون.

[33] لتلخيص ما قلته. أعتقد أنه من الواضح أننا لسنا مقيدين بقانون البرلمان لعام 1813، وأننا لسنا مقيدين بأي تعهد صريح أو ضمني، وأننا أحرار في استخدام أموالنا كما نختار، وأننا يجب أن نستخدمها في تعليم ما من الجدير بالذكر أن اللغة الإنجليزية تستحق المعرفة أكثر من اللغة السنسكريتية أو العربية، وأن السكان الأصليين يرغبون في تعلم اللغة الإنجليزية، ولا يرغبون في تعلم اللغة السنسكريتية أو العربية، لدى السنسكريتية والعربية أي ادعاء خاص لتشجيعنا. أنه من الممكن أن نجعل أبناء هذا البلد علماء إنجليزيين جيدين تمامًا، ولهذا يجب توجيه جهودنا.

[34] في إحدى النقاط أتفق تمامًا مع السادة الذين أعارض آرائهم العامة. أشعر معهم أنه من المستحيل علينا، بوسائلنا المحدودة، أن نحاول تثقيف جسد الناس. يجب أن نبذل قصارى جهدنا في الوقت الحاضر لتشكيل فئة قد تكون مترجمين فوريين بيننا وبين الملايين الذين نحكمهم، فئة من الأشخاص الهنود من حيث الدم واللون، ولكن اللغة الإنجليزية في الأذواق والآراء والأخلاق والعقل. بالنسبة لتلك الطبقة، قد نترك الأمر لتحسين اللهجات المحلية للبلد، وإثراء تلك اللهجات بمصطلحات علمية مستعارة من التسميات الغربية، وجعلها بدرجات مناسبة وسيلة لنقل المعرفة إلى الكتلة الغفيرة من السكان.

[35] سأحترم بشدة جميع المصالح القائمة. سوف أتعامل بسخاء مع جميع الأفراد الذين لديهم سبب وجيه لتوقع مخصصات مالية. لكني سأضرب جذور النظام السيئ الذي عززناه حتى الآن. أود أن أوقف طباعة الكتب العربية والسنسكريتية في الحال. أود إلغاء كلية السنسكريتية في كلكتا. بيناريس هي المقعد العظيم للتعلم البراهميني. دلهي لتعلم اللغة العربية. إذا احتفظنا بكلية السنسكريتية في بوناريس وكلية ماهوميتان في دلهي، فإننا نفعل ما يكفي وأكثر من ذلك بكثير في رأيي، للغات الشرقية. إذا كان يجب الاحتفاظ بكليتي بيناريس ودلهي، أود على الأقل أن أوصي بعدم منح أي رواتب لأي طالب قد يقوم بالذي يصلح بعد ذلك هناك، ولكن يجب ترك الناس ليختاروا بأنفسهم بين أنظمة التعليم المتنافسة دون أن يكون هناك رشاوي من قبلنا لمعرفة ما ليس لديهم الرغبة في معرفته. ستمكننا الأموال التي سيتم وضعها تحت تصرفنا من تقديم تشجيع أكبر لكلية Hindoo College في كلكتا، وإنشاء أخرى في المدن الرئيسية في جميع أنحاء رئاسات مدارس Fort William وAgra حيث يمكن تدريس اللغة الإنجليزية بشكل جيد وشامل.

[36] إذا كان قرار سيادته في المجلس على النحو الذي أتوقعه، فسأقوم بأداء واجباتي بأكبر قدر من الحماس والحيوية. من ناحية أخرى، إذا كان رأي الحكومة أن النظام الحالي يجب أن يظل دون تغيير، أرجو السماح لي بالتقاعد من رئاسة اللجنة. أشعر أنني لا أستطيع أن أكون ذات فائدة صغيرة هناك. أشعر أيضًا أنني يجب أن أقوم بإدارة وجهي لما أعتقد اعتقادًا راسخًا أنه مجرد وهم. أعتقد أن النظام الحالي لا يميل إلى تسريع تقدم الحقيقة بل إلى تأخير الموت الطبيعي للأخطاء المنتهية الصلاحية. أتصور أنه ليس لدينا في الوقت الحالي أي حق في الاسم المحترم لمجلس التعليمات العامة. نحن لوحة لإهدار المال العام، لطباعة كتب أقل قيمة من الورقة التي طُبعت عليها عندما كانت فارغة - لإعطاء التشجيع الاصطناعي للتاريخ العبثي، والميتافيزيقا العبثية، والفيزياء السخيفة، واللاهوت العبثي- - لتنشئة سلالة من العلماء الذين يجدون منحهم الدراسية عبئًا وشينًا، والذين يعيشون على عاتق الجمهور أثناء تلقيهم تعليمهم، والذين يكون تعليمهم عديم الفائدة تمامًا بالنسبة لهم لدرجة أنهم، عندما يحصلون عليه، يجب عليهم إما أن يتضوروا جوعاً أو يعيشون في العراء كل ما تبقى من حياتهم. من خلال تسويتي لهذه الآراء، فإنني أرغب بطبيعة الحال في رفض كل مشاركة في مسؤولية أي هيئة، ما لم يغير أسلوبها الكامل في الإجراءات، يجب أن أعتبرها، ليس فقط عديمة الفائدة، ولكن ضارة بشكل إيجابي.